

ش شعر

فى وصف أمريكا

د . احمد تيمور

فی وصف امریکا

ش شعر

فى وصف امريكا

د . احمد تيمور



دار سعاد الصباح

الطبعة الأولى ١٩٩٣

دار سعاد الصباح
ص . ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت
ص . ب ١٢ المقطم - القاهرة
تليفون ٢١٩١٧٢٧
٢١٩٧٧٧٩
فاكس ٥٠٦١٠٢٠

رقم الإيداع ١٨٢٣ / ٩٣
I.S.B.N : 977 - 5344 - 62 - X

الإشراف الفني: حلمي التوني

أمركا

رعاةُ أبقارٍ بغيرِ قبّعاتٍ
واقفون يرشفون قهوةً ساخنةً على عَجَلْ
وجالسون يحتسون قهوةً ساخنةً على مَهَلْ
ونائمون يحلمون ببخار البنّ
إن هو الصباح هلْ
رعاة أبقارٍ . . . أجلْ
بكفّ كلٍّ منهمو أنشوطةٌ وحبلْ
ودونهم
أبقارهم شقراءُ
لونها يسرُّ الناظرينَ
تمنح السهل اشْقرارها وتمنح الجبلْ
بجيب كلٍّ منهمو

حافظةٌ متخمةٌ بعشرةٍ من البطاقات البلاستك الممغنطه
وألف ألف رغبةٍ فوريةٍ
رسومها مقسّطه
ونصف دستةٍ
من العوازل الطبية التى تردُّ كيد الإيدز
إذ تردُّ طارىء الحبَلْ

أمريكا

رعاة أبقارٍ عماليقُ
وأبقارٌ بدينةٌ
يرتّبون فى متونها ولائم الشواءِ
يغرزون فى أردافها الشوكة والسكّينَ
وهى لا تصدُّ غازراً
ولا تهزُّ ذيلْ
رعاة أبقارٍ وأبقارٌ
وأنهارٌ من الحليبِ
تجرى من ينابيع الضروع حارّةً
تفور قشدةً

وترتمى على الضفاف جبنةً وزبدةً
وفوقها السحابُ
زَبَداً ورغوةٌ عالقةٌ
كأنه مرآةٌ ما يُظِلّْ
رعاة أبقارٍ
وأبقارٌ
وأنهارٌ من الحليب والنبيذ والعسلْ

أمريكا

رأيتُها فى ساعة الغداءِ
أمّةً من الأفواهِ
خلتُها خلَتْ من كل خاطرٍ مخاطرٍ
وقد خلتْ للأكلْ
رأيتها ودونها طاولة الطعامِ
أمّةً تحلُّ بطنها
كأن غير بطنها فى الكون لا تحلّْ
رأيتها فى عيدها الصغير .. ساعة الغداءِ
باشّةً وهاشّةً

كطفلةٍ سعيدة الصيحاتِ

تتشى براءةً

يشدُّ شعرها المجدول طفلْ

رأيتها فى ساعة الغداءِ

شعباً غادياً لفرحةٍ يوميةٍ

وأمّةً مدعوّةً كسندرلاً

كلّما أضحى الضحى لحفلْ

كسندرلاً

تخلع القفّازَ

والعصابة الزرقاء عن جبينها

وسترةً جلديّةً مبتلّةً عن خصرها

وتترك الصحون فى الأحواضِ

تكوى ثوبها .. وتغتسلْ

وبعد ساعةٍ

تعود سندرلاً من جديدٍ

شادّةً حزامها ... لتشتغلْ

لم تنس نعلاً من نعالها

وإن لم تنس أن تواعد الأمير فى المساءِ

لاستراحة العشاءِ

واستباحة الحديث بالغزلْ

أمريكا

رأيتُها فى ساعة المضاءِ

شعباً من شعوب النارِ

ينطفى دقيقةً

لكى يعود يشتعلْ

رأيتها فى ساحة البناءِ

أمة من الآجرِّ والأسمنتِ

والحديد والقرميدِ

ترتقى مناكب السحابِ

أمّةً شغالةً

كأنها مخلوقةٌ للشغلْ

كأنها خليةٌ فى جسم عفريتٍ مكهرب القوى

كأنها خليةٌ من نحلْ

تقطرُ الشهد الصناعىَّ الرحيقِ

فى أنابيب صغيرةٍ

تصبُّ فى أنابيب كبيرةٍ
تصبُّ فى فمٍ منضبطِ الشفاهِ
لا تضيع قطرةٌ ولا تضلُّ

أمركا

مطرقةٌ ومنجلٌ
ومعدةٌ مليئةٌ تحرِّك العضلْ
شعبٌ من التروس دائرٌ
من الشروق للغروبِ
سائرٌ على طريقه الشمسُ
مثل الشمس لا يكلُّ
وأمّةٌ تحتلُّها الآلاتُ
حتى تقف الآلات . . . حينذاك تستقلُّ
وتبدأ استرخاءها اللذيذ كسلى
مجترَّةً رخاءها
كناقةٍ تبسط زنديها على يد الأريزونا
ورجليها على فلاة نيفادا وتمضغ اشتياقها إلى الجملْ

أمركا

رأيتها فى الليل حانةً
بنوها فى ظلال كرمةٍ ضافيةٍ
ويقطفون الدانيات من دواليها
ويعصرونْ
ثم يشربون خمرةً عتيقةً
سكِّيرها
يفيقه من سكره « الدسكو »
لكى يعيده إليه صاحياً ثمِلْ
رأيتها فى الليل حانةً
من العشَّاقِ
تزدهى بجنسها المراقِ
فى العناقِ
ليس يعرف الحياء سكةً لخدّها الأيمنِ
بينا خدّها الأيسر يجهل الطريق للخجلْ

أمركا

سَلَطَةٌ من بنجر الفجور فى ليل البلاى بوى

وكرفس متعة الحضور فى صحن مسارح البرودواى
وخيار الكدح فى مواقع النهارِ
حيث لا خيار إلا للعملْ
سَلَطةٌ فاخرة المظهرِ
تكتسى بمعطف البلو تشيز
أو طيالس المبويز
غير أن الفلفل المنقوع فى أنساغها
ما انفكَّ يحتسى شرابه الأثيرَ
من ماء البصلْ

أمركا

قلبٌ مراهقٌ
ينوء تحت ثقل عقلٍ . . . أىّ عقلْ
وشفةٌ مشغوفةٌ
تودُّ أن تمتصَّ كلَّ ما يثغر الكون من قُبَلْ

أمركا

كسَّارة البندقِ

والبندق مكسورٌ على أشجارها
يغرى طرىَّ السنِّ
أو يغوى كبير السنِّ
أن يلوكه بغير ما وجلْ
لكنَّه
لا بدَّ دافعٌ
حساب ما استطاب لوكَهُ
يوماً وإن طال الأجلْ
بالسنت دافعٌ حسابَهُ
فإن السنت فى أمركا
فتى مخنثٌ
له لينُ البنات لو حفظتَهُ
ولو ضيعتَهُ
يطرُّ فى خدّيه شاربُ رجلْ

أمركا

فاتورةٌ ثقيلةٌ
تجىء فى البريدِ

والبريدُ فى أمريكا ساعٍ على الأبواب طارقٌ ملحٌّ
وزائرٌ مملّ

أمركا

بنادقٌ بنادقٌ كثيرةٌ
على حلوق فوّهاتها
كمائمٌ من فلّ
بنادقٌ مكتومة الصدى
إذا تكلّمتْ
فشا الشذى
ومن صنوف الطيب ما قتلْ

أمركا

سحابةٌ من ليزرٍ
يحملها ملثمونَ
يمتطون غابةً من خيلْ
ظهيرةٌ ساطعةٌ
ترمى ظلالها على منعطفات سنةٍ من ليلْ

عاصفةٌ رعديةٌ
تحاصر الآفاق بالبروقِ
ثم تنكفى
دلاؤها على الربى كالسيلْ
قد تعد البذور بالنماءِ
بينما
ترى بعض براعم الأراضى الواطئاتِ
أنها موعودةٌ بالويلْ

أمركا

تحتاج من يسرّ فى آذان مجدها الجديدِ
بعدما تفرّدتْ
بنجمتىْ شريف شرطة الدنا
بلا مُدافعٍ
ولا مَدافعٍ
بأن فى فردوسها الذى تصفّ زهرهُ
متّسعاً للكلْ
يقول كامى : العاشقون ليس يعدلونَ

غير أنني أقولُ :
إنَّ أصل العشق عدلْ
وإنَّ فرع العالم المعوجِّ
في هذا الزمان اشْتاق أن يعودَ
مستقيم العودِ
آخذاً هيئته على غرار الأصلْ
وإنَّ فرصةً
كهذه التي يروغ ظلُّ وعلها الشرودِ
فوق ظلِّ عشب فخِّنا الممدودِ
لم تحِنْ لنا من قبلْ
لكي يجيء فارس المحبَّة النبيلُ
راكباً حصانه الجميلَ
ساكباً خطاه في دروبنا
محبةً جميلةً ونبلْ
ليأتِ من أمريكا
ليأتِ من أفريقيا
فإنها مفتوحةٌ أمامه الآن السبُلْ
معذرةً

أعود للقصيدة التي تركتها
وحيدةً
على تقاطع الواقع والأملْ
أعود بالحروفِ
للحروفِ
لاضماً حروفهم جُمَلْ
مخيَّراً بين السكوت المستحيلِ
والصراخ المستطيلِ
والحديث المحتملْ

أمريكا

قارورةٌ من الزجاج الداكن السميكِ
قد رَسَتْ على شطٍّ بعيدِ
من شطوط الباسفيكِ
ضامَّةً رسالةً
بلغةٍ قديمةٍ قد درستْ
أو شفرةٍ جديدةٍ لليوم لم تُحلْ
مشيتُ في سطورها التي تكدَّستْ

على خطوطها الطحالبُ الخضراءُ
دُسْتُ فوق طحلبٍ
فدسّ كلمتين في يديّ
كانتا
متى . . . . . . وهلْ
مشيتُ في خضرة هذا المرجِ
باهت الخطى
مشبّعاً بالثلجِ
سائلاً
متى للصيف أن يحلّْ
وهل له إذا أتى مع الشتا محلُّ
منعتُ لعبة الكلامِ
سرتُ صامتاً
ومنصتاً
إلى تنفس الكروم في الكحولْ
كان هناك أسودٌ وأبيضانِ
منهما اقتربتُ
فاضطربتُ

ثم أيتُ
أبيضاً وأسودين
حيث جئتُ غابةً
أجابني بها من آخر الأحراش دغلْ
عن باب كوخ العمّ سام لا تسلْ
وسلْ
عن البوابة الجليلة التي أمام قصره الأجلْ
فكيف يدخل القصور سائلٌ
وهل إذا دخلتُ كالهواءِ
يُسأل الهواءُ :
من دخلْ ؟
فذبتُ في الصقيع كاحلاً
وكاهلاً
فربتُ أن أذوب كاملاً
وارتبتُ
أن جوربَ الناطورِ
في ساقِ الفؤاد ابتلْ
فلُبتُ كالفراشِ

حول شعلةٍ من مارج الفوسفورِ
قلتُ إنها هى النجاةْ
أو هى المقتلْ
لكنها خَبَتْ
فخَبَتْ تطلعى المشوق للمنى
بعدتُ مجفلا
وعدتُ قافلا
قوافلا قوافلا
من التماسك الهشيم الروحِ
والتوازن المختلْ
وحين ثبتُ من مواجدى
وثبتُ فوق كلِّ صبوةٍ
وربوةٍ
على الطريق للسنا
صحبتُ فى عروجه إلى السماء
كلَّ تلْ
ركبتُ نجمةً من النجومِ
. واستطبتُ فوقها النسيم فاتراً

حتى سئمتهُ
قرحتُ مالأَّ سامى
أو سائم المللْ
على ملامح الأرض التى تطايرتْ
خرائطـــاً
من طىّ أطلسٍ
أطـــلْ
وعندما
دنوتُ من
مكعّبٍ يخبُّ فى الفضا
على متن جوادٍ أسطوانىّْ
قفزتُ فوقهُ
فرنْ
من أى معدنٍ ترى
سألتهُ
فانْ :
أنا سبيكةٌ من الحنين والشجنْ
لمستُ سطحه الكريمْ

وافترشتُ نجمتي

أغالب الحزنْ

غالبته حتى استكنْ

حتى سكَنْ

غالبته حتى طوى جفونىَ الوسنْ

فجاءني الذى تركته فى الصحوِ

بالمنام هامساً

يا أيها الغريبُ

لا مكان يشبه الوطنْ

كان له مسحة اى . تى .

ذلك المسخ الشجى

فقلت أنتجى

إلى الهلالِ

علَه يحطّنى على مآذن الحسينْ

لعلّهُ يرقنى على كتوف سقفهِ

خان خليلىَ اللجينْ

لعلّنى أسيلُ

. فوق ساعدىْ قاهرة المعزّْ

كى أقبّل اليدينْ

اشتقتُ يا هلال شوقاً هدَّنى

لوجه أمى

زوجتى

ابنى الصغيرِ

والبنتينْ

أكاد من فرط اشتياقى للعيالِ

يا هلال أن أُجنْ

واشتقت سيدى للأصدقاءِ

كلّما يجىء يوم الأربعاءِ

لاجتماعهم أحنْ

فقال لى الهلالْ :

إننى موظفٌ

أفرّغ الأثير من دجاهُ

كى تدور فى فراغه المنوّر السفنْ

وإنَّ أقصى خدمةٍ

أمنحها إليك أنْ

أحطَّ رجليك على

قمة برج السيرس الذى
تختال شيكاغو بقدِّه
على كلِّ المدنْ
شاهدةً على ارتفاعه الفريدِ
كالعمودِ
يسند السماء فوق الأرضِ
عينٌ متشحنْ
فكان أنْ
جرت دموعىَ التى حبستها
فى قلبىَ الذى امتلا بها
حتى احتقنْ
فأقبلتْ نحوى
وقالت لى جليسة الزهور فى الحديقه
دع الدموع يا غريبُ
وابدأ الخضوع للمكان والزمنْ
دع الدموعَ
وابدأ الطلوع من أفكارك الغريقه
ولتطفُ .

مثل شعبة المرجانِ
جزُّوا جذرها الذى يعيقها
عن التحليق فى وجه المدى
عينا العينْ
دع الدموعَ
وابدأ التواصل المجموعَ
والحضارة التى لستَها فقط
بالذهنْ
دع الدموع يا غريبُ
وابدأ الهجوع للغرائز العميقه
تدلُّك الحقيقة الحاسرة الدماغِ
والعريانة الفخذينِ
وحدها عن الحقيقه
يا ذلك الدرويشُ
قادماً من الخرافة الشرقية التى تطنُّ
فى رأسك العتيقه
يدلُّك الطريق وحده عن الطريقه
دع الدموع يا غريب الروح

وابدأ الرجوع للبدايات
مقلعاً من ساحل الضغنْ
لكى تروح للنهايات فى منابر النهى
وآيتاكَ
رغبتان فى العشقِ
وفى مفاتن العشيقه
قنديل أمّ هاشمٍ
رأيتُ زيتهُ
سحابتين فى عينيكَ
شحمةً على الأذنْ
فلا تكنْ
إذنْ
ضحيةً لصدمة الحضارتينْ
فإنّ كلَّ ما تحويه من عواطفٍ ومنْ
قسمٌ باسم العقل خالصاً مقدساً
وسم باسم التهد شاخصاً وآملساً
لِمَ الدموع يا غريبُ
من يضيع عجلساً كذاكَ

لن يُرى من بعد ذاك جالساً
فقلتُ :
إن وجهك الحسنْ
بعيد وجهى المسنْ
طفلاً بريئاً ليس يعرف الخطيئه
وقتُها
ناظرةً إلى الزهورِ
نظرةً ساهمةً مبهمةً بطيئه
لكى أواصل القصيدة التى أسميتها
أمريكا
لكى أعود آسفاً عن القعودِ
واصفاً
أمريكا

أمريكا

جزيرةٌ من ذرةٍ مسلوقةٍ
تغضنها بحيرةٌ من سكَّرٍ مصنَّعٍ
مذوَّبٍ فى سائل الكولا
محاطةٌ بشاطئٍ مدوَّرٍ من السجقْ

أمركا

عجيزةٌ عظيمةٌ
يلفُّها سروالُ جنزٍ ضيقٌ
قديم الازرقاقِ
يشتكى المزقْ

أمركا

حريةٌ باهظة الضريبة اندفاعةً
عالية التعريفة انطلاقةٌ
تكلّف الساقينِ
جذعَ المنطلقْ
حريةٌ متعبةٌ
يحنُّ من يخبرها
لفترةٍ من راحةٍ طويلةٍ
أو فترةٍ من رقّْ
حريةٌ
مسحوبةٌ

على بنوكِ أن تنام صاحىَ الشكوكِ
تشعل الأقساط للصكوكِ
فى قلقْ
حريةٌ
توزّع المنبّهاتِ فى عيون أهلها
ليصرخوا طوالَ ليلهم
من الأرقْ

أمركا

بنايةٌ سامقةٌ
قد طوّق السحاب خصرها
وفوق كتفها اليمنى رمى
ذراعه اليسرى الشفقْ
فى حينَ هيّأ المساء نفسه للرقصِ
مُحكِماً عرى سترته السوداءِ
داعياً بطرفه اللعوبِ
طرفها الطروبَ
والنجوم ترقب الحدقْ

أمركا

جسمٌ من الأسفلت عريانٌ

بـــدا

من حيث أقلع المدى

ومُـــدَّ

فوق الأرض سرمدا

إلى أن ارتدى

عباءة الأفق

جسمٌ مذكَّرٌ

له فى كل منحنى عشيقةٌ

يولِّد الدروب من فروج حوضها

وينجب الطرقْ

دربٌ أبٌ

تَحبُّ فيه الشاحناتُ

تحمل الصباح للمساء دفعة واحدةً

أو تدخل السحر فجأةً على الغسقْ

بينا تدبُّ فى عياله صغار العرباتِ

تنقل الصباح للضحى

وتنقل الضحى لمطلع الهجير والهجير للأصيلِ

والأصيل للوقت الذى يليهِ

فى هوادةٍ ورفقْ

أمركا

معاملٌ يخبّئون الشمس فى جفانها

ويفصلون النور من نيرانها

ويفركونَ

عن شعاعه الألَقْ

معاملٌ

يفجّرون الذرةَ فوق طاولاتها تفجيراً

ويرتقون بالإبرة

ثوبها الذى انفتقْ

معاملٌ

فتران تجريبانها من الزجاج الحىّ

تستطيع أن ترى الذى يدور فى عروقها

عرقاً فعرقْ

معاملُ

يجرِّبونَ الموتَ فى إنبيقها الأسودِ

والحياةَ فى إنبيقها الأبيضِ

والحياةَ بعدَ الموتِ

فى إنبيقها الذى انفلقْ

معاملُ خطيرةُ الطموحِ

قد يروِّضُ الإنسانَ أبخرتها

وقد تصير ماردًا

يشدُّه من العنقْ

أمـركـا

مـسـافةٌ من الزمانِ المعدنىِّ

صافـةٌ جناحيها . . .

طائرةٌ بريّـةٌ

قافزةٌ فوقَ ذرى الآمادِ

فى نزقْ

وزهـرةٌ وحشيّـةٌ

تحاصر الجهاتِ حولَها

بكلِّ مالَها من قوّةٍ فى اللونِ والعبقْ

أمـركـا

إبطٌ كثيفُ الشعرِ

مثلُ بيئةٍ محميّةٍ

أدغالُها مرشوشةٌ ضدَّ العرقْ

وسـاعدانِ

طوّقا الدنيا على اتساعِها

غربًا وشرقْ

وجبهةٌ فـسيحةٌ

وراءها

مخٌّ حسابىٌّ القوى إلكترونىٌّ

تشبُّ فى جنانه الجنانُ

مثقلاتِ الدوحِ بالورقْ

وعانةٌ

كأنها جهنمٌ

وقودها الرجالُ والنساءُ

والرجالُ والرجالُ

والسماء والسماءُ
كيفما اتفقْ

أمركا

أقرب كوكبٍ
يطلُّ من علٍ
على ربوع الأرضِ
ناظراً لها من فوقْ
وقارةٌ مفقودةٌ
قد غرقتْ
حاملةً حضارةً غريبةً
يدعونها أتلنتك استقرت الأحقابَ
في قاع المحيط الأطلسيّ
ثم عادت من أساطير الغرقْ

أمركا

سفينةٌ قادمةٌ من الفضاءِ الخارجيّ
كلُّ ما فيها مشعٌّ

من يمدُّ إصبعاً إليها
قد يقضي عمرهُ
أو يحترقْ
روّادها الذين يخرجون من أبوابها
يماثلوننا تماماً خِلقةً
لكنهم
مغايرون في الطباع والسلوك والخُلُق
من مئتي عامٍ
أتانا طبقٌ من السماء طائرٌ
للآن لم يعدْ
إلى السماء
ذلك الطبقْ

أمركا

ماكينةٌ
مسجّلٌ تاريخ صنعها
على لافتةٍ يضاجعها الخلقُ
ماكينةٌ

تصنعُ التقدُّمَ المطرّزَ الياقاتِ بالرقيّ
تترجم الرؤى بضائعا
وتجمع الخيال في الرؤوس ضائعا
روائعا
من المحركات والمعلّبات والحُليّ
وترسل الأحلام والأفلام
للأمام
نحو زمنٍ من الرفاه والثراء
وللأعلى
صوب وطنٍ موقّعٍ ثريّ
ماكينةٌ
رأيتها مع صديقٍ من ثيوجيرسى يسمّى ألفرد
ماكينةٌ أمٌّ
لعالمٍ يجيئنا بسرعةٍ
تفوق سرعة اختراق حاجزٍ عموّه من الأصوات
عالمٌ ميكنٍ جديدٌ
وكلُّه آلىّ
. ماكينةٌ مكينةٌ

تراود الإنسان عن حواسه
وعن تماسه
مع الأخبار
عن مراسه الطويل
في الأشياء والأفكار
عن قياسه
لحجمِ حلمِه
بمقياسٍ بسيطٍ آدميّ
ماكينةٌ مكينةٌ
تراود الإنسان
عن مهارة اليدين
عن جهارة اللسان
عن تربُّص العينين للضياء في الظلامِ
عن ترصُّد الأذان في السكوت للكلامِ
عن ترتيب ذبذبات نحو الترتيبِ
عن ذكاء عقله الذكيّ
ماكينةٌ مكينةٌ
تراود الإنسان عن خواصه

وعن نتاجهِ

مع الأشعارِ والأخبارِ

عن تراثه المأثورِ

عن لهائه اليومىّ

ماكينةٌ مكينةٌ

تمكّنت من كل مكمنٍ

بكون كائناتنا

أو كائنات كوننا

يقول الفرد

لم يبق إلا بضعةٌ كالروح

حتى يصبح الروبوت بعض جنسنا

يشارك الإنسان فى الشعورِ

والتفكيرِ فى المعامل الغيبىْ

على الطريق كى يصير ذلك الروبوت طاغوتاً

فرنكشتاين الرهيبُ

يوقد المصابيح النيونَ

يولج العيونَ

حيثما يشير ضوؤها فوق البنفسجىْ

هناك فى أمريكا

سوف يسير كائن الإنسانِ

كالأسيرِ

والآلات من كل اتجاهٍ حولَهُ

تسلب عقلَهُ

بصوتها المعدنىّ الصدى

وزيّها الملمّع الفضىّ

تسير خلفَهُ

وترتقى رقاب النخل فى ذرى الجبالِ

كى تراهُ

مثل يوحنا النبىّ

يُسلِمُ الرأس الكريم المعمدانىّ الهمومِ

مرةً ثانيةً

بلا ترددٍ

لسالومى البغىْ

تعقّدت

تعملقت

ماكينة العصر الحديث

أصبحت تحدياً

أمام شارل شابلن القزم العظيمِ

غير أن الوقت صار ضدّهُ

فبات

والتحدى بعد حىّ

تراجع الإنسان فى أمركا

أمام قوّاتٍ من الروبوتِ

عن مواقعٍ كثيرةٍ

فى قلب واشنطن

ولم يجىء لذكر ذلك النبا

هناك فى السى إنّ إنّ أىُّ شئٍ

ورغم طول خبرة المخابرات المركزية احتل الروبوتُ

مقعداً بمجلس الشيوخِ

والسبيل بات يغرى بالمضىّ

لمكتب الرئيس رهن بيته الابيض

بيد أنّ . .

واحداً من المساعدين لم ينبّه الرئيس بعدُ

والتطورات لم يشرْ لها محدّثٌ رسمىٌ

فقال القرد

نخاطب الرئيس قائلين :

سيدى الرئيسُ

قد تراجع الإنسان فى أمركا

أمام أشباه الموصّلات والموصّلاتِ

والرقائق التى تلاحقتْ

على رفوف الكمبيوتر الشديد البأس منها والطرىّ

تراجع الإنسانُ

دون زحف ألياف الزجاج المبصرات المنصتاتِ

والبلاستك المسلح النقىّ

تراجع الإنسان نحو الذاتِ

خلف الذاتِ

فى اللذاتِ

لم يعد أمامه غير الرضوخ للحصار العبقرىّ

ولم يعد للربّ غير صفحة الدولارِ

يحتمى بها فى عالمٍ مادىّ

ماكينةٌ مكينةٌ

تكدّست أجزاؤها

تقدَّست أسرارُها

صارت كنيسةً بغير ما مسيحٍ

يحتوى قدّاسها الأرقام فى البورصاتِ

ثم فاصلاً

للأرغن الذى يعدُّ البنكنوت فى خشوعٍ كنسىٍّ

كنيسةٌ قبابها

من ذهبٍ معالجٍ بحامضٍ

تلقاه إن أنت اختبرتَهْ

بفعلِ تقطّرِ عيادِ شمسِ قلوىٌّ

كنيسةٌ صليبها

فرعٌ هوائىٌّ

لرصدِ قمرٍ مجوَّفٍ من النحاسِ الفستقىِّ

كنيسةٌ

من أتقن الصلاةْ

فى محرابها الصلب الذى لا يعرف الصدا

يصير قسَّها النبىْ

أمركا

هضبةٌ هائلةٌ من الغبارْ

يلتفُّ حولها الجميعْ

يرقبون شاشة التلفازْ

ليلاً ونهارْ

ألف قناةٍ وقناةْ

مثل شهرزاد تنسج الرؤى

شرائطاً . . . شرائطاً

فى عين شهريارْ

وتنثنى على نمارق الحديث دونَهْ

كاشفةً كاحلها

وبضعةً من ساقها

فينثنى أمامها

على سرير السمع تائقاً

مهيَّأً للانبهارْ

فتبدأ الإرسال زاقّةً إليه

نظرةً حالمةً

وفقرةً طويلةً لسيِّدٍ من سادة الجيتارْ

وحين يبدأ التململُ القديمُ

عنده التنازلْ

في جبين شهريارُ مُنْبئاً
عن عودة الداء الذي كلَّفه جرائم القتلِ
وعار الانهيارْ
تدسُّ شهر زاد في يديه صندوقاً صغيراً
اسمه الريموتْ
حينذاك ينتهي عذاب عقلِهِ
ويلتهي في لعبة الأزرارْ
ألف قناةٍ وقناةْ
تصل البعيد بالقريبِ
والمألوف بالغريبِ
واليوميَّ بالدهريّ
والجزئيَّ بالإطارْ
وكلُّ كلِّ ما تريد حاضرٌ
ما دمت تدفع اشتراكَ «الكيبل» المختارْ
فأنت في أمريكا
تسكن قصر الحلم ذا المئة حجرةٍ وحجرةْ
وألف شرفةٍ وشرفةٍ تسبح في حديقة النجومِ
بالإبهارْ

يريد شهريارْ
أن يحلَّ عقدة الثقافة التي تقضُّ مضجع الملوكْ
ينبري له مؤدِّبٌ مؤدَّبٌ
لكي يقولَ :
سيدي السلطانْ
للتفكير عنصرانْ : سالبٌ وموجبٌ
وعاملان : دافعٌ وجاذبٌ
وعالمان : مطلقٌ وموثقٌ
ومنطقان : راشدٌ وفاسدٌ
وفي العموم سيدي التفكير نافعٌ وضارْ
يحسُّ شهريار أن جنبه الأيمن وارمٌ
من اتكائه عليه نصف ساعةٍ من الزمانْ
يرغب السلطان أن يعالج المصرانْ
دون أن يغادر المكانْ
ينبري له بقراط نفسهْ
يجسُّ نبضه ويصف العقارْ
يريد شهريار أن يضحكَ
ينبري له مهرِّجانْ

يقلبان صفحته لمهرجانٍ

ثم عندما يفرَّجان كربهُ

يسلِّمان ثم يخرجانِ

عن يمينٍ ويسارْ

يريد شهريار أن يمارس البيسبولَ

يرتدى فريقٌ كاملٌ لباسهُ

وعندما تشتعل المدرجات بالهتافِ

يشعر السلطان بالفخارْ

يحسُّ شهريار أنه حبيس قصرهِ

وأن رحلةً مثيرةً

إلى المجاهل الزرقاءِ

ترفو جورب الملالة المثقوب فى أعصابهِ

حينئذٍ

يظهر سندباد طائفاً به عوالم البحارْ

يشغف شهريار بالمغامراتِ

ـ مهملاً جميع ما وراءه من عاجل الأشغالِ ـ

ينقل اهتمامه إلى الأدغالِ

يأتى طرزانٌ

كى يضفِّر الغصون تحته أرجوحةً

يهزُّهُ

وفى يديه كوب شايهِ

وفوق الشفة السيجارْ

يحسُّ شهريار أنَّ الحكم ورطةٌ ثقيلةٌ

وأن مجد كلِّ حاكمٍ طاغٍ

شمولىُّ المزاج زائلٌ

وأن مدَّ موج آخر الشيوعيينَ

فى انحسارْ

فيبرى فى الخيال ديمقراطً

يجمع الجموعَ

بين قابلٍ ورافضٍ وبين بينْ

ثم يُدخل الجميع تحت تاجهِ

ويطلق الحوارْ

وها هنا

يدرك شهريارْ

أن سيفه أضحى

« لباناً » من تشيكلتس استقرّ

فى فم الجلاد مسرورٍ
ومسرورٌ بدا
كدمية من آبنوسٍ
عُلِّقتْ على جدارْ
فعاده الداء القديمْ
غير أن شهرزاد بادرت
بتقديم اللطائف التى تُقيله من العثارْ
وبــــدأت
بخفوةٍ تشرح مادونا على أنغامها
كيف السبيل البِكْر للأُرْجَـزْم دونما شريكْ
لـذَّةً فرديةِ الأوارْ
كى تنتشى
فتنتشى هرما فروديت نشوةً عارمةً
ويسكر النبيذ بالنبيذ فى الجرارْ
وقدمت فى عقبِ ذاك شهرزادُ
مســـرحيةً
عن الربِّ الذى قد كانْ
ثم ذاب كالجليد فى ابريلَ

ثم عاد فى الكريسمس الأخيرِ
زائراً مرقَّع الإزارْ
ففقرةٌ لمطبخٍ
عن بيضةٍ بغير مخٍّ
بيضةٍ جميع جرمها زلالٌ طيِّبٌ ومُخْصِبٌ
تقى الشرايين التصلُّبات إن أكلتَها
وإن تركتَها ـ مدى يومين ـ
تفقس الكتاكيت الصغارْ
فآخر الأخبارِ
عن كواكبٍ بعيدةٍ جداً
يجوع الناس فيها
ثـــمَّ
سهرةٌ مديدةٌ
من الفنِّ الدراميِّ الوثائقيِّ
حول عمل الحبِّ
وعن لهو الكبارْ
ثـــمَّ
يصيح الديك مُؤذِّناً

بصمت شهر زادُ

عن كلامها المباح في الدجى

غير المباح في النهارْ

وحينذاك شهر زادُ

ترتدي فستانها

قائلةً ـ وشهريار معطٍ وسائد الكرى ـ

صباح الخير يا أمركا

يومك سارْ

أمركا

ذاكرةٌ لاهثةٌ

ولغةٌ مولعةٌ بالاختصارْ

يو . إس . إيه . جي . إف . كيه . جي . آر .

أمركا

قد بدأتْ سباقها مع الزمانِ

بعدما

أنهت سباقها مع المكانِ

مـادّةً شفاهها من أمدٍ لكأسِ الانتصارْ

بدأت العودة للمستقبل انطلاقها إليه

صاروخٌ قد استطارْ

من قاعدة اقتناعها

بأنَّ للتاريخ بابَ فندقٍ دوّارْ

وأنَّ من يريد أن يرى المدى

وجهاً لوجهٍ

فعليه أولاً

أن يكسر المعادلاتِ الأمهاتِ

في كراريس الحسابِ

ثانياً في دفتر الفيزياءِ

أن يضع الانعكاس في سياق الانكسارْ

أمركا

مثلَّثٌ من قوةٍ وعبقريةٍ

مثلَّثٌ له ضلعان فارعانِ

قد توازيا

يعتصران قلبها

وكلا همّا بأن يلتقيا

يضاعفان الاعتصار

أمريكا

دائرةٌ . . . مربّعٌ مماسها

يلفّ حول مركزٍ خارجها

دائرةٌ عالية الضوضاء

تربيتا غزير الكهرباء

إنما

تعاني روحها عذاب الانشطار

أمريكا

كدأبها في الاختصار

كلمتا :

شكرٍ كبيرٍ

واعتذار

أمريكا

شجرةٌ من ذهبٍ

إذا تنافشت غصونها

فشت رائحة النضار

شجرةٌ عملاقةٌ

طالعةٌ من قمقمٍ فخّار

لمحتــهُ

بأحد المحال في وول ستريت

وعندما صعدتُ

فوق قمة الامبير ستيت

خلت أن ما أرى

يفعل ما ألمَّ بي من الدوار

رأيتها عن كثبٍ

شجرةً من ذهبٍ

أوراقها خضراء مستطيلةٌ

كأنها . . . كأنها الدولار

فروعها مرتّباتٌ في تتالٍ هندسيٍّ

عند كلّ ملتقى فرعين

جالسٌ سمسار

زهورها حواسبٌ آليةٌ دقيقةٌ رقيقةٌ

تعطيك وهماً ما
بأن ما ترى حقيقةٌ
حديقـةٌ
مملوءةٌ بنفسجاً ونرجساً وسوسناً وجلّنارْ
شجرةٌ
تفاحها من ذهبٍ
بذوره الودائع الأصولُ
والفوائد التي ربتْ
تراكبت
وأصبحت ثمارْ

أمـركـا

شجرةٌ من ذهبٍ
رائعـــةٌ
لامعـــةٌ
ثمينـــةٌ
لكنها تفتقد البساطة البيّنة التي تميّز الأشجارْ

أمـركـا

مزرعةٌ ومصنعٌ
تزاوجا فأنتجا الثراء والنقودْ
منجمٌ ومصنعٌ
تزاوجا فأنتجا الثراء والنقودْ
مصنعٌ ومصرفٌ
تزاوجا فكان الاحتكارْ

أمـركـا

مدينةٌ غلت تمدُّنا
دنت منها الدنا
تشاغلتْ
تغلغلت في فسحة الأوزونِ
حتى أوغلتْ
في دورة الأفلاكِ
ثم انفصلتْ
وأصبحت نجماً بعيداً
استقلّ عن هموم الأرضِ

حيث دار كلٌّ فى مدارْ

وعندما

يمرُّ فوق الأرضِ

- كالمذنب المشهور هالى -

فى تعــالى

يمنح اليابس والمياهْ

نظــرةً

تشى بالاحتقارْ

أمريكــا

حلمٌ وكابوسٌ

وعيدٌ أو وعيدْ

جنّةٌ محفوفةٌ أسوارها

بنــارْ

وقلعةٌ تحاصر الرياحْ

والرياح أرواحٌ من الجنِّ الذى

تُهيجه الحصــارْ

أمريكــا

أغنيــةٌ

وصرخــةٌ

أمنيــةٌ

وهاجسٌ

قهقهةٌ عاليةٌ

ثم صفيرٌ متقطعٌ

لسياراتِ شرطةٍ وإسعافٍ

تخبُّ إثر قاتلٍ فرَّ

ومقتولٍ يحاول الفرارْ

أمريكــا

خمسون نجمةً

نمــتْ

فى رايةٍ واحدةٍ

رمــتْ

أضواءها على المبــانى فصارْ

نهراً من الفلورســنت

نهراً طويلاً
حائراً بين النهور والأقمارْ

أمريكا

رسالةٌ من العصور القادماتِ
تصف الوقائع التى يلوح الغيب
خلف الغيم . . . بعد لم تزلْ
تقف فى طابور الانتظارْ

أمريكا

حقيقةٌ غريبةٌ
كأنها معمولةٌ من الخيالِ
فكرةٌ مثيرةٌ
وعصبٌ مُتْرَز
حاولتُ أن أفهمها
بغير أن أحسَّها
فكنتُ مثل ميِّتٍ
يودُّ أن يهرب من ديمومة الموت بالانتحارْ

حاولت أن أحسَّها
بغير أن أفهمها
فكنت مثل إناءٍ مترعٍ بسائلٍ
تركته على جدار الشمس
صائحاً بوجهه إياك والبخارْ
حاولتُ
أن أفهمها
وأن أحسَّها معاً
فكانت القصيدة التى بدأتها
ولا أدرى لها نهايةً
فإنها تكتبنى بيدها
لست أنا
حقيقةً من يكتب الأشعارْ

أمريكا

فطيرةٌ عجيبةُ المذاقِ
من عجائن التفاحِ
أكلتها على الرصيف فى محطّة القطارِ

فى الصباحْ

فخلتُ أنّ ما فى الكونِ

من شقاءٍ مستديمْ

عارضٌ . . . . وراحْ

أكلتها

ومطربُ الراب الذى أحبُّهُ

يطاردُ القطاراتِ الوقورةَ الهديرِ

بالصباحْ

يقولُ

إنه يقولُ

إنها تقول إنّ جدَّها العجوزَ جورجَ

يملأ الأطباقَ بالحديثِ

والأكوابَ بالكلامِ

والثيرانَ بالخوارِ

والحمامَ بالهديلِ

والأغنامَ بالثغاءِ

والقططَ بالمواءِ

والجراءَ بالنباحْ

يقـــولُ

إنه يقولُ

إنها تقول إنّ جدَّها العجوزَ جورجَ

يخلع الأسنانَ

كى يفسح للحروف سكّةَ الخروجِ

ثم إنـهُ

يثبّتُ الشواربَ التى يعيرها أصحابهُ

فى سائلينِ

أحمرٍ مثيرٍ

وأصفرٍ بواحْ

تركت مطربى الذى أحبُّهُ

على الرصيفِ

عنـــدما

أنزلنى القطار فى آخرهِ

وسرتُ فى الدروبِ

جائلاً بغير وجهةٍ أريدها

مدندناً عبد الحليم حافظ

مدندناً « سواحْ »

فاليوم كان عطلةً

نهاية الأسبوعِ

سبتاً كانَ

سائبَ اللجامِ

مطلقَ العنانِ

مرخىَّ السيورِ

كسلانَ الخطى

فى أوج الانشراحْ

أمريكا

فى عطلتىْ نهاية الأسبوعِ

قضمتان من فطيرة التفاحْ

والنـــاسُ

فى السبوت والآحادِ

غيرهم فى غيرها

قد أنجزوا أعمالهم

وبعـــدها

. تفرّغوا للّهو والشراب والمزاحْ

هـمٌّ على قلوبهم

واجبهم

أعطوه كلَّ همِّهم حتى انقضى وانزاحْ

من حقِّهـــم

من حقِّ من يكدُّ كدَّهم فى الحقِّ أن يرتاحْ

أمريكا

فى عطلتىْ نهاية الأسبوعِ

راحـــةٌ

وراحْ

وشابةٌ تضمُّ فى الحدائق الغنَّاءِ

شابَّها العربيدَ

تجدل التوليب فوقَهُ

وفوقها تضفّر الأقاحْ

حتى إذا أتت عليها الرياحْ

طوَّحتْ حصيرة الزهور عنها

وبعثـرتْ

بكل موضعٍ تـزورُهُ

أمريكا

في آخر الأسبوع . . . . . عيدها الكبير
مولدٌ
وليُّه باخوسُ
شمعه وشمعدانه المدام والأقداحْ
وموعدٌ مقدسٌ
لكل أشجار الحدائق التي تحيط بالبيوت
عند غاية الأفراحْ

أمريكا

في آخر الأسبوعْ
قد رأيتُها
عروس عرس
أوسعت عروسها سعادةً
وساعة السرورْ
سرُّها مباحْ

أمريكا

فطيرة التفاح أوصاني بها صديقٌ لي استمعتُ
جائعاً إليه
ثم قلتُ
فيما يشبه النُواحْ
تفاحـــةٌ
تفتّحت في كل جرحٍ من جراحِ خاطري
وخاطري
شجرةٌ من الجراحْ
فنحن في بلادنا
نستخدم التفاح في التشبيه
والتطيـب
إذ أقول شاعراً
كمثل وجنتيْ حبيبتي تفاحتانْ
أو أقولُ
بعد وضع معطفي الطبيّ فوق منكبيّ
جنّتان في المساءِ والصباحْ

فطيرةٌ عجيبةٌ قُدِّمتْ من التفاحِ

ذقتُها

وقلتُ حالماً

لــو أنّهــا

تمنحنا قرصاً من التفاحِ عاجلاً

بــلا فــوائــد

وفترةً طويلةً من السماحْ

فردَّ عقلىَ الذى قــد كانَ ذاهباً

لحــدِّ الصبيِّ

ثــم عــادَ

لا

لا تعطنى تفاحــةً

لكــنْ

إذا ما كنتَ حقاً صاحبى

أشــرْ علىَّ كيف أزرع التفاحْ

أرصفةٌ قاريّــةٌ من المهاجرينْ

ترسو على حوافّها

مراكبُ المهاجرينْ

مــراكــــبٌ

من شــطِّ أوروبا أتتْ

خافتةَ البسمةِ فى تحفُّزٍ

من شــطِّ آســيا أقبلتْ

باهتةَ النظرةِ فى تردّدٍ

من شــطِّ أفريقيا دنتْ عاليةَ الأنينْ

مــراكــــبٌ

رستْ على سطحِ مراكــبٍ

رســتْ

على مناكبِ الهنودِ الحمرِ

فانثنوا على خيولهم

مقوَّسين

مرتدةٌ سهامهم لمنحنى أقواسهم

غائرةَ الحديدِ فى عظامهم

مُرخيةً أعصابهم

يا ظلوثها

من عقار الدى تيو بوكوررينْ

أمركـا

عجينةٌ من المهاجرين والمهجّرينْ

من الجناة والضحايا

والغزاة والسبايا

قد تداخلت سداتهم بلحمة العجينْ

من خلطة الشمال والجنوبْ

والسواحل الشرقية الغربية التى تضمُّ قلبها

كرحمٍ يحيط بالجنينْ

بينا الجنين سابحٌ فى حلم أمريكا

على شطوط متشجنْ

ومتشجنْ

بحيرة العذوبة الشقراءْ

قد قرأتُ فى عيونها الزرقاءْ

ما يثير فى القرّاءْ

من حنينْ

أمركـا

ببِيْضٍ وسودْ

أمعنوا فى لعبة السادة والعبيدْ

حتى جاء لنكولن

ومارتن كنج

بعدها

تبادلوا الأنخابْ

بيد أنْ بعضهم تبادلوا الأكوابْ

والشفاة

ثم أنجبوا . . . ملوّنينْ

أمركـا

عجينةٌ

من أكثرية ترى الأحمر ردْ

وتعرف الأخضر بالجرينْ

وثلّةٍ لسانها مفرّقْ

من الأقليّاتِ

بعضها هوى من نافذات الطائراتِ

بعضها أتى سباحةً

كما الرغاء

في إثر السفينْ

رأيتُ

بعض البعض

في ساح نيويورك المدينة التي

تعلّمَ الكريم أن يهونْ

رأيتهُ

كولبس الشجاع

عند صالة القدومِ

في مبنى مطارها ج . إف . كندي

مشمّراً عن ساعديْهِ

خالعاً قبعة القبطانِ

عاديَّ العيونْ

سألتهُ

عن الحقائب التي أودعتها عاتقهُ

فدلّني

وانتظر البقشيشْ

في تمرين رصينْ

خاصمتُ هذه المدينة التي

تعتقل الإنسانَ

في مكعّبٍ من القرميدِ

فوق جانبيْ كفل جزيرةٍ

معــرّاةٍ

مسمّاةٍ بمانهاتن

وتمنح الحرية التمثالَ

مطلقاً سنا شعلتها بكفّه اليمينْ

أدنتُ هذه المدينة التي

بالعنف والغرورِ

والمادية القصوى تدينْ

مدينـــةٌ

تخترع الروافع التي تستخدم السحابْ

في البناء « إسقالةً »

لكي تطـــلَّ

فوق كائنٍ

بهامةٍ وساقين على الأرضِ

وتسألُ السماءَ

ذلك القصير جدًّا من يكونْ؟

مدينةٌ عظيمةٌ مجنونةٌ

على سطوح ناطحاتها المدنيّات كالقنا

تعانق العظمة الجنونْ

لفافةٌ تبغيةٌ

محشوةٌ بالمرجوانا

أزرقٌ دخانها

يشيعه فى زرقة الآفاق مكّوكٌ

وَيَسقط الرمادُ

فوق لون دربها

أرصفةٌ من المشردينْ

بغير بيتٍ مـا

يجثّون تحت سقفهِ

مقتنياتهم من الشجونْ

أمريكا

عجينةٌ من المكافحين والمغامرينْ

من رائدى اكتشاف كلّ بوصةٍ فى الأرضِ

والمغامرينْ

والباحثين عن عروق الذهب الخامِ

بكاليفورنيا

والباحثين عنه فى معامل الأبحاثِ

فى دالاس

وفى مخلّفات مصنعٍ للعرباتِ

فى شمال شرق دترويت

وحول تكساس

فى مزارع الغلالِ

أو صوامع الطحينْ

والباحثين عنه فى مملكة السحرِ

بدنيا والت ديزنى

فى شخوص مسرحىْ ملرْ ووليامز الشديدة الغنى

بعالميها الثمينْ

والباحثين فى حشا وفى حشاش كلّ شىء:

فى العلوم والآداب والقانون والتاريخ والفنونْ
والباحثين عن لا شىء فى الوجودِ
غير جرعة الهروينْ

أمريكا

عجينةٌ من الذين والذين والذينْ
لا فرق بين عنصرٍ وعنصرٍ
ورجلٍ وامرأةٍ
وملّةٍ ودينْ
عجينـةٌ
تخمّرت بفعل فاعل السنينْ
وأُنضجتْ
على لهيب حربها الأهلية التى انتهت
بحادث اعتلاء واشنطن
حصانه النحاسىَّ الصقيلَ
فوق رأس كل ميدانٍ
بكـل بلـدةٍ
وصار تذكاراً رخامىَّ الجبينْ

لكنّ بعضاً
من حروف كعكة الميلاد تلك احترقتْ
على لظى حروبها والآخرينْ

أمريكا

عجينةٌ غرّستْ على يدىْ عجّانها
تفرّستْ
فى وجهِهِ
وفى عِجانها
وأورثت جميع كعكها
صفاته الهجينْ
عجينةٌ تجانستْ
حتى تجنّستْ مكوّناتها
بقوتىْ جوازها ورقم التأمينْ

أمريكا

حكايةٌ شيقةٌ
تحكى عن الذين راهنوا على المحيطِ

زاعمينَ

أنَّ عابرَ المياهِ

أينَ أمعنتْ به المياهُ

سـائرٌ

ـ في ذاتِ فجرٍ قادمٍ ـ

على قــدمْ

وأنّ مثلَ الأرضِ برتقالةٌ

قشرتها خارطةٌ

مرسومةٌ مسامها

بالحبرِ والرصاصِ

والمسدسِ القنّاصِ

والمحراثِ

والمخرازِ

والقادومِ

والقلمْ

أمركا

أحدوثةٌ شعبيةٌ

عن بطلِ الأبطالِ

عن شجاعةِ الخيالِ

عن تراجعِ المسلّماتِ دونَ إصرارِ الرجالِ

وعن التطلّعِ المحمومِ

في ملامحِ الوجودِ

حالما نهمُّ بالنهوضِ فوقَ حافةِ العدمْ

أمركا

قراءةٌ حديثةٌ

في قصةٍ قديمةٍ

شديدةِ القِدمْ

تحكي عن الذين آمنوا بسنّةِ الإبحارِ

من قراهم النائمةِ البيوتِ

كالذبابةِ الحمقاءِ

في حضونِ العنكبوتِ

نحو عالمٍ من الخلاصِ في الحلُمْ

أمركا

في دفترِ التذكارِ

صورةٌ مسقيّةُ الإطارِ

بالبــــريقِ

غاصةٌ حتى القرارِ

بالنشيجِ والألمْ

قصيــدةٌ

عن أول المهاجرينْ

صاغها من الدموعِ مرةً فروست

ثم مرةً من التفاؤلِ العرِمْ

قرأتها اشتعلتْ مرتينْ

فرحةً وهمْ

فراح روبرت النبيلُ يطفىء النيرانْ

فى بطاحِ بوسطن الجميلةِ البطاحِ

حيث أسكن الرياحْ

واستراح فى القديمْ

أحببت بوسطن المكانْ

خمسةٌ وأربعونْ

آهٍ

فى وَرِنْ أفنيو

حسناً ما زلتُ أذكر الرقمْ

أحببتُ بوسطنِ الزمانْ

تلتقى فيه الصيوفُ العارياتُ

بالشتاءات المغطَّاة السفوح بالجليدِ

والموشّاة القممْ

أحببت بوسطن الخريفَ

مثلما أحببت اليوتْ

مثلما أحببت عرّاب الأسى فى أرضه الخرابِ

والأسى بأحداق الرجال الجوفِ

والخريفُ يوسع الغصونَ حمرةً

وينطوى

على شعورٍ سرمدىٍّ بالندمْ

أحببت بوسطن الجميلة الربيعِ

كاعبــاً

عرّفنى ـ فى ذات حفلةٍ ـ عليها

صاحبى وقال لى :

إن تدْعها للرقص

رغم أنها أستاذة القانون فى هارفارد

لألف مرةٍ

فى كل مرة تُجيبُ بطرفها نعمْ

لكنّ عاشقاً قديماً قال لى :

فى كل لحظةٍ ـ كطقسها ـ

لها مزاجها الخاص اقتنصْ

صفاءها إذا صفتْ

فإن وِدَّها لمغرمٍ طويلاً لـمَ يـدُمْ

أحببت بوسطِ المدينة التى على دروبها

مشى جبرانُ شامخاً

فى كبرياء جرحٍ نازفٍ

لا يلتئمْ

طالعتُ فى ميدان بوكلى لوحةً

موقَّعٌ على رخامها الأنيق باسمهِ

موقَّعٌ بدمْ

طالعتُ فوقها

حديقة النبىِّ والنبىِّ

غير بضعةٍ من السطور خطَّها لىَ

. بثَّها شوق المهاجرين كلهم

شوقاً مضرّاً

لم يزلْ

فى رئة الرخام يضطرمْ

أمـركـا

روايةٌ طويلةٌ

عن نزعة الإنسان للخروجِ

من تحت سماء قيمٍ عتيقةٍ

ونزعة الإنسان للدخولِ

تحت أفقٍ مستحدثٍ من القيمْ

كأنهُ

مستبدِلٌ ـ من بعد كدٍّ ـ رايةً ببيرقٍ

وبيرقاً ـ من بعد كدحٍ ـ بلواءٍ

ولواءً ـ بعد لأيٍ ـ بعلَمْ

وقصةٌ قصيرةٌ

عن شهوة الإنسان للمجهولِ

يركب احتمالات الضياع والوصول نحوهُ

إذ يركب الخضمْ

عليَّ قصُّها فحجراى قبل النومِ
من عامينِ
بعد قصُّها
للآن لم أنمْ
هناك فى أمريكا
جنوب بوسطن المدينة التى أحببتها كسيِّده
ضاحيةٌ صغيرةٌ أحببتها كطفلةٍ
ضاحيةٌ نائيةٌ
هادئة الأنفاسِ
كى أبلغها
علَّ أن أدخل بطنَ الأرضِ
شاقًّا نفقاً
مهرولاً فيه على متنِ قطارٍ
خارجاً منهْ
أمام أول الطريق للسماء الخالده
هنـاكَ
فى سهولِ جاميكا التى تقولُ
إن الربَّ

عندما انتهى من صنع جنتِهِ
خصَّها بواحده
ووجه مارلين الملائكىُّ
شاهدٌ
بأنها على العطاء
كانت شاهده
مؤمنةٌ بربها
سهولِ جاميكا
رأيتُها
تصلِّى كل يومٍ فى المساءِ
والمساءُ واقفٌ وراءها
يردُّ عنها الريحَ
وهى ساجده
مؤمنةً مارلينُ كانت
تكره الذين يؤمنونَ بالشيطانِ
والشيطانَ
والإلحاد والملاحده
كان أبوها

راعىَ الكنيسة التى تُطلُّ

فوق غابةٍ من البلّوطِ

شمّاسا جميل الصوتِ

تسعى نحوه فصائل السنجابِ

من منعطفات الغابِ

عندما يبثُّ الأرغن العجوزَ

هائماً مواجده

كانت ملاكاً طيبا مارلينُ

ترشق الورود الساقطات من يد الصباح

فى بياض ثوبها

يصير ثوبها حديقةً عند الضحى

وحينما يحين موعد الطعامِ

تجمع الورودَ

فى آنيةٍ تزين قلب المائده

كانت ملاكاً طيّباً مارلينُ

تعدو خلف أسراب الفراش الغامض المضيء

فى المساءِ

. تومض الضحْكات فى رنّات صوتها البرىء

إذ تغيب فى الظلامِ

ثم تومض الضحْكات وهى عائده

أحببتها من كلِّ قلبى

كنت أخفى متجر الحلوى بجيبى

سائلاً من خلفها

عمَّن يكون واضعاً على عيونها يده

« العم أحمدٌ »

تجيبُ

مادَّةً ذراعها إلىَّ

أعطيها الذى خبأتهُ

مطالباً

بنطق إسمى جيّداً

وقبلةٍ على الجبين جيّده

أمريكا

مساحةٌ من التجليِ

رحبةٌ

شاسعةٌ

واسعةٌ

للمجولفْ

وساحةٌ من الزهورِ

تطلبُ الشرطةَ

إنْ هدَّدتْها بالقطفْ

وامرأةٌ عاريةٌ لطيفةٌ

سألتُ نفسي

عندما رأيتها

هل يكتفي من يصرف العينينِ

عن عُرْيِ النسا

باللطفْ

أمركا

خريطةٌ مفتوحةٌ

تؤمُّها الجبالُ والسهولُ والخلجانُ

والهضابُ والوديانُ والربى

ومثلها

• مجتمعٌ مُفتّحٌ أبوابهُ

للقادمين القادرينْ

متحفٌ

تسير صوبَهُ

على أقدامها التُّحَفْ

مصيدةٌ

تُسيل ريقَ كلِّ صيدِ

شَــرَكٌ

تفتّشُ الغزلانُ عن حبالِهِ

صنارةٌ

تسعى لها الأسماكُ

حتى تبلع الطرفْ

أمركا

طبيعةٌ سخيّـةٌ

إنسانها متيّمٌ بخيرها كَلِفْ

يكفُّ

عن سجّادها نعّالَهُ

وفي خشوعٍ بالغٍ

على قدامة الكلوروفل فى محرابها

يرتِّبُ الأكفْ

على الطريق للجمالِ

قد تلاقيا : الإنسانُ والطبيعةُ الحسناءْ

ثم مضيا كِتفاً بكتفْ

أمريكا

تركيبةٌ من وفرةٍ وقدرةٍ

حاولتُ أن أصفها

فتهتُ فى فسيفسائها

وتاه فى مسائها صباح الوصفْ

حاولت أن أحصرها

صوتاً وصورةْ

فضعتُ بصراً

وضلَّ عندى السمعُ

غير أننى على سبيل ضعف حاشيتى لم أقفْ

خطفتُ زهرتين

من أزهارها الحمراءِ

عندما قرّبتُ من فيها فمى

وقلتُ :

إنَّ للغريبِ أن ينالَ قبلةً . . باخطفْ

وسرتُ

فى مسالك الهاى واى

مُقَنِّعاً النفسَ

أنَّ فى عيونها ـ غريبةَ الفتنةِ ـ

موعداً لبهجةٍ دنَتْ

وعالماً من ألف ليلةٍ وألفْ

وأننى لها

أنا الشرقىُّ هارونُ الرشيدُ

قد أتيتُ من مضاربى

أدوِّخ العيونَ بالدنانير التى ترفْ

دوائراً دوائراً من الترفْ

رهنتُ سيفَ والدى الرشيدِ

عند تاجر السعوطِ والنفوطِ

ثم جئتُ غازياً

حريمكم بغير سيفْ

تركتها مصائفي

فى شاطىء الأندلس البعيد

عندما سمعتُ

أن بين ركبتىْ فلوريدا

ينام كلُّ صيفْ

لكنه الهاى واى طاف بى

بغير ما نهاية

ودون منعطفْ

سألت بعض سالكيه

أين أستطيع أن أنيخ ناقتى

يكاد أن يصيبها لطول سيرها التلفْ

يكاد أن يهدَّها

جوع المسافر الغريب

أين ألتقى

بذلك الذى يبيعنى صاعين من علفْ

فكلَّمونى بالرطانة التى أجدتُ بعض شكلها

لكنّ روحها

قصيةٌ عن التأثير

فى ضميرىَ الشاذىْ

فاتونى

على تقاطع اللغاتِ

بعدما تبادلنا عبارات النفور والصلفْ

لكننى أفقتُ

عندما أفاق بعضهم

وعندها

هشّمت الحكمة أقداح الخزفْ

فإنها سلافةٌ من سائل الألماس

كيف ترتضى

بأن يكون دنُّها من الخزفْ

أنا امرؤ القيس الذى

ينشى البيان الآنَ

أرسل اللسان فى حروفكم

وأعترفْ

حاولت أن أدينكم جميعكم

بقدر ما أنا

عن الثقافة التى تمثِّلونَ

جدٌّ مختلفُ

لكنّ روح العدل فى تكوينىَ العريقِ

صدَّنى

فلم أقل غير الحقيقة التى أحسستُها

بغير زيفْ

هاىِ أنا للحقّ

لم أعشق سوى بنات حبِّه

وغير عشق قول الحقّ

فى قصائدى

لم أحترف

قارفتُ فى صباى أخطاء الصبا

شاهدةٌ علىّ أطلال الدخولِ

شاهدٌ سقط اللوى

لكنها خطيئةٌ كالكذبِ

فى تاريخىَ الذى أحييته

فى كلّ أشعارى التى حيكتُها

لم أقترفْ

فإننى الشريف فى مطالعى

أطارد المعانىَ الشريفة التى تقودنى

إلى قافية

رويُّها الشرفْ

لم أُغنِ إلا بالجمال وحدهُ

أعـــدو

وراء كلّ شادنٍ جميلٍ

جاء من أقصى الجنوبِ

أو أتى من الشمالِ

إنما الجمال موطنٌ لكلّ شاخصٍ لـهُ

أشفّه الهوى فشفّْ

أنا امرؤ القيس الذى ما زال يعترفْ

أمدّ كفّى للضمير صافياً

إذا الضمير مدّ كفّه

ومال مقبلاً علىّ

حتى أغترفْ

لكــنْ

إذا تعكّر الضميـرُ

أو تنكّر الضميـرُ

ستُ ظامئاً وعفتُ
وهكـــذا
أبحثُ شلال النياجرا
بعضِ خنصرى
فشدَّنى لهُ
فكان أن أقطعتُ كلَّ خنصرى المياهْ
كى لا أنجرفْ
فارتدَّ شلالُ النياجـرا
صاعـــداً
مخالفاً عرف المساقطِ المائيـةِ المكتوب كلّهُ
وردّ إصبعى للكفُ
وقفـــتُ
فوق سطح مركبى
صنعتهُ على عينىْ عنايتى
قصصت متنه من ورقى
عوّمته فى بحر حبر أزرقى
شادًّا يراعىَ الشراعىَّ احتفاءً بالهواءِ
عازقاً عن الهوى

محاذراً أن أنحرفْ
مـداومـاً
على قراءة المؤشرات فى اسطرلابىَ القديمِ
ضابطاً عليه
دقتى والبوصلات
لا أميـلُ
ضدّ أو مع ولا أظلّ عند المنتصفْ
حاولـتُ
أن أرى بحيدةٍ
وأن أصوغ قدر رؤيتى
موتِّرا قوسى
مثقفًا رؤوس أسهمى
مستقبلاً بعين قلبىَ الهدفْ
قـررتُ
أن أحكّم الضمير فى قصيدتى
آثـرتُ
أن أقول كلمتى
وأنصرفْ . . . .

تمـــت

د . أحمد تيمور
نوفمبر ١٩٩١

. كما كانت قصيدة الشرقاوي بمثابة معطف جوجول الذي خرج منه عشرات الشعراء المحدثين فان قصيدة تيمور ستكون معطفا جديدا لمزيد من انصار الشعر الحديث ..

أمريكا على سرير الطبيب

دخلت أمريكا عيادة الطبيب ، فاقتادها إلى غرفة الكشف ، وجعلها تستلقى على أريكة الفحص . وهناك أخذ يصلها بعشرات الأسلاك والصمامات المتصلة بأجهزة الأشعة والضغط والصدى والسوبرسونيك والأشعة المقطعية وغير ذلك مما لا أفهم فيه كثيراً أو قليلاً ، وبعد انتهاء هذا الفحص الدقيق ، ترك الطبيب مريضته تلتف في معطفها وجلس هو على مكتبه يكتب تقريراً مفصلاً طويلاً عن حالة المريضه . .

هذا ما حدث حقاً ، ولا يظنن أحد بى الجنون ، كل ما فى الأمر أن الطبيب هو الذى زار المريضة ، أمريكا ، فى بلادها ، والطبيب هو الدكتور أحمد تيمور الأستاذ بكلية الطب والذى يعرفه الوسط الثقافى المصرى والعربى كشاعر رقيق ، متألق المعانى ، مترونق الكلمات ، جعل أحسن الشعر أصدقه ، لأن الشعر لديه كالطب وسيلتان حميدتان لغاية حميدة ، هى السلامة بدناً ونفساً .

ذهب الدكتور تيمور إلى أمريكا فى مهمة عمل طبية استغرقت بضعة شهور ، ولكن المهمة ـ بالرغم من نجاحه اللامع فيها ـ لم تستغرقه ، وإنما كان لديه متسع كاف من الاهتمام والوقت لفحص مضيفته أمريكا والغوص فى أعماقها ، وكتب فى حالتها هذا التقرير الدقيق ، أقصد هذه القصيدة

الطويلة « فى وصف أمريكا » التى تقع فى أكثر من ١٥٠٠ شطرة من الشعر الحديث تستغرق ما لا يقل عن مائة صفحة حين تصدر فى كتاب .

يستهل الشاعر قصيدته بهذا المقطع :

أمريكا
رعاة أبقار بغير قبعات
واقفون يرشفون قهوة ساخنة على عجل
وجالسون يحتسون قهوة ساخنة على مهل
ونائمون يحلمون ببخار البن
ان هو الصباح هل
رعاة أبقار .. أجل
بكف كل منهمو أنشوطة وحبل
ودونهم
أبقارهم شقراء
لونها يسر الناظرين
تمنح السهل اشقرارها وتمنح الجبل
بجيب كل منهمو
حافظة منتفخة
بعشرة من البطاقات البلاستيك المغتبطه
وألف ألف رغبة قريبة
رسومها مقسطه
ونصف دستة
من العوازل الطبية التى ترد كيد الايدز

اذ ترد طارىء الحبل

* * *

ويمضى الدكتور الشاعر أحمد تيمور فيصف أمريكا وصفاً تفصيلياً شاملاً ، فى كل أحوالها وساعاتها .. فى ساعة الكد والعمل ، فى ساعة اللهو والكدر ، فى ساعة الراحة والكسل ، فى المرقص والديسكو ، فى المصنع ومسرح الفجور ، وناسها البيض والسود ، الطيبين والأشرار . ويستغرق فى ذلك الشطر الأكبر من القصيدة ، بل أكاد أقول كل القصيدة، لأن كل ما فيها يصف هذه البلاد وصفاً مفصلاً ، ويغوص فى أعماقها ، ولكن هذا الغوص الذى قام به الطبيب الشاعر لم ينسه الحنين إلى الوطن ، وهذه أيضاً واحدة من أبرز صفات تيمور ، يقول :

فجاءنى الذى تركته فى الصحو بالمنام هامساً يا أيها الغريب لا مكان يشبه الوطن

...

اشتقت يا هلال شوقاً هدنى
لوجه أمـى
زوجتى
ابنى الصغير
والبنتين
أكاد من فرط اشتياقى للعيال
يا هـلال
أن أجـن
واشتقت سيدى للأصدقاء

كلما يجيئ يوم الأربعاء

لاجتماعهم أحـــن

هذه النغمة من الحنين إلى الوطن لا تبين كثيراً فى خيوط القصيدة شأن بعض البكائيات التى لا تتوقف عن الأنين حنيناً للوطن ، ولكنها تعصم الشاعر عن الانبهار بأنوار أمريكا ، فإذا كانت أمريكا قوية مبهرة متلألئة فإن الشاعر ينتمى إلى حضارة سامية وارفة ذات تاريخ يضرب فى جذور الزمن وهذا ما يجعل من حقه أن يحادث أمريكا حديث الند للند ، ويجعله يصرخ فى الأمريكى قائلاً :

لا . . .

لا تعطنى تفاحة

لكن إذا ما كنت حقاً صاحبى

أشر على كيف أزرع التفاح

وهذا هو الفيصل الحقيقى للحكم على المساعدات الأجنبية ، هل تكون هذه المساعدات تفاحاً يلتذ به المدينون قليلاً ويزدادون غرقاً فى ديونهم أم أن التنمية الحقيقية تكون بنقل المعرفة أو كيفية صنع الأشياء ؟

ويجمل الشاعر نظرته إلى الحضارة الأمريكية فى هذا المقطع :

أمريكا

عجيبة من الذين والذين والذين

لا فرق بين عنصر وعنصر

ورجل وامرأة

وملة ودين

وأخيراً فإن الشاعر الدكتور أحمد تيمور لا يريد أن يحد رؤيتك أو يملى

عليك آراءه ، وإنما يقول كلمته بحيدة يتحكم فيها الضمير ، فيؤكد فى ختام قصيدته قبل أن ينصرف :

حاولت

أن أرى بحيدة

وأن أصوغ قدر رؤيتى

موتراً قوسى

مثقفاً رءوس أسهمى

مستقبلاً بعينى قلبىَ الهدف

قررت أن أحكم الضمير فى قصيدتى

آثرت

أن أقول كلمتى

وانصرف . .

وينصرف الشاعر الدكتور أحمد تيمور تاركاً قصيدته « فى وصف أمريكا » شاهداً على العصر وانطلاقة جديدة فى مسيرة الشعر الحديث نحو المزيد من الحماسية والعالمية بعد الانطلاقة التى أحدثها عبد الرحمن الشرقاوى بقصيدته « من أب مصرى إلى الرئيس ترومان » فى أوائل الخمسينات . وكما كانت قصيدة الشرقاوى بمثابة « معطف جوجول » الذى خرج منه عشرات الشعراء فإن قصيدة تيمور ستكون معطفاً جديداً لمزيد من أنصار الشعر الحديث .

محمد العزب موسى

الأخبار فى ١٥/٣/١٩٩٢



* ولد الشاعر بالقاهرة في الأول من مايو عام ١٩٤٨ .

* تخرج في كلية الطب جامعة القاهرة بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف في عام ١٩٧٢ .

* حصل على الدكتوراه فضلاً عن درجتي ماجستير في الفسيولوجيا الطبية والأمراض الباطنية ، ويعمل حالياً أستاذاً في كلية الطب جامعة الأزهر ، وله عشرات الأبحاث الطبية المنشورة في المجلات المتخصصة ، وقد شارك في العديد من المؤتمرات العلمية في مصر والخارج .

* صدرت له مجموعة شعرية باسم « ثنائية العفو والغرق » في يناير ١٩٩٠ ، وهي قيد الترجمة الآن في جامعة جورج تاون الأمريكية .

* نشرت قصائده كبريات الصحف والمجلات المصرية والعربية ، كما ترجمت له العديد من القصائد ونشرت بالخارج .

* قدمت الإذاعة المصرية قصائده على شبكاتها المختلفة بأصوات رؤسائها ، وقد بلغت هذه القصائد المئات ، ووجد الكثير منها طريقه إلى الإذاعات العربية عبر القطاع الاقتصادي لاتحاد الإذاعة والتليفزيون .

* أقيمت له عشرات الأمسيات الشعرية الخاصة به في مصر والولايات المتحدة الأمريكية .

* شارك عدد من كبار الفنانين فى القاء قصائد د. تيمور فى الأمسيات التى نُظِّمت له فى دار الأوبرا المصرية ومسرح الهناجر والمسرح القومى وقد نقل التليفزيون فقرات مطوّلةً منها ، كما صاحب أداء القصائد عرض شرائح للوحات تشكيلية مستوحاة من رموزها وعزف موسيقى يوحى بأجوائها ، وقد قام بتلحين بعض قصائد الشاعر الغنائية عدد من كبار الملحنين فى مصر والوطن العربى .

* تفرّد الشاعر بكتابة القصائد الطويلة ذات الحس الدرامى مثل « قافية بين امرىء القيس وبينى » التى قدمت مقتطفات منها فى دار الأوبرا المصرية و « بوح الفاء المكسورة » التى أخرجت كسهرة كاملة فى البرنامج الثانى بالإذاعة ، و « القمقمية » التى قُدّمت على مسرح الهناجر و « حنين الفراشة للشرنقة » التى قُدّمت على خشبة المسرح القومى ، هذا وقد انتهى مؤخراً الشاعر من كتابة مسرحيته الشعرية الأولى « البراكين الطية » .

* تناولت أعمال د. تيمور الشعرية أقلام كبار النقاد والأدباء فقد قال عنه عملاق الأدب العربى الأستاذ يحيى حقى فى صالون الأوبرا الثقافى المنعقد فى ١٠/٣/١٩٩٢ : « تيمور فى حالة وجد مستمرة ، وشعره يفيض من ينبوع متدفق دائماً .. فيه جمال وفيه طرب وفيه لذة .. إن تيمور يتلذذ وهو يكتب الشعر . وشعره جزل روحى دائم أمام جمال الطبيعة وخلقة الله » . كما كتب الدكتور عبد العزيز حمودة استاذ الأدب الانجليزى بجامعة القاهرة حينما كان يشغل منصب مستشارنا الثقافى بالولايات المتحدة الأمريكية فى مقال له عن الشاعر نشر بجريدة الأهرام الدولى فى ١٠/٩/١٩٩١ عقب استضافة د. تيمور فى أمسية شعرية نظمها له

المكتب الثقافى المصرى فى واشنطن : « نحن أمام شاعر رومانسى فى عصر لا يعرف الرومانسية ، لكن رومانسية أحمد تيمور فى الواقع تبتعد عن مزالق الغنائية التى سقط فيها معظم الرومانسيين العرب ، فالرجل يكتب بعقله وقلبه معاً ، وليس بقلبه فقط ، لهذا تتسم صوره وأخيلته بالجدّة والجرأة وطول النفس وهى خصائص قلّما تجتمع لشاعر عادى » .

■ **دار سعاد الصباح**
للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلى نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهي نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة.

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
ت: ٣٠٣٦٠٩٨

في وصف امريكا

أمريكـــا
قارورة من الزجاج الداكن السميك
قد رست على شط بعيد
من شطوط الباسفيك
ضامة رسالة
بلغة قديمة قد درست
أو شفرة جديدة لليوم لم تُحل
مشيت فى سطورها التى تكدست
على خطوطها الطحالب الخضراء
دست فوق طحلب
قدس كلمتين فى يدى

